مَنْهَجُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ بالقُرْآنِ في رِوَايَاتِ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام

السيّد زيد البطّاط
جامعة المصطفى العالمية
كلية الفقه والمعارف الإسلامية
إيران الاسلامية-قم

١. تمهيد:

تفسير القرآن بالقرآن -وكما هو ظاهر من لفظه -يعني أن نلجأ في تفسير الآيات القرآنية والكشف عن معانيها إلى القرآن الكريم نفسه، فنراجع الآيات التي ترتبط بشكل وآخر بما يراد تفسيره من القرآن، ونستعين ببعض القرآن في تفسير بعضه الآخر.

ويعد هذا المنهج من أهم الطرق وأفضلها في التفسير، بل قد عدّه بعض المفسرين أفضل المناهج التفسيرية على الإطلاق[1]؛ لأنه يعتمد على المتكلم نفسه في بيان كلامه، فهو أسلوب عقلائي في الفهم يستعمله العقلاء في محاوراتهم، فإنهم إذا ما أشكل عليهم فَهْمُ كلامٍ ما يرجعون إلى المتكلم نفسه، أو المؤلف فيلحظون مجمل ما ذكره حول هذا الموضوع، ليتشكل لهم الفهم النهائي وفق مجموع كلامه.

وإذا ما كان هذا ديدن العقلاء في

(١) لاحظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٨. و: الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص٣١٥. و: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص١١. و: جوادي آملي، تسنيم، ج١، ص٦١.

محاوراتهم وفهمهم للمتون والمؤلفات التي صاغتها يد البشر المعرّض للخطأ والنسيان والزلل، فمن الطبيعي أن يصح ذلك في فهم كتاب الله الكريم الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾[سورة فصلت: ٤٢]، والمصون من الاختلاف والتنافي بين مضامينه، ومن هذا المنطلق اعتمد مفسرو المسلمين في وقت مبكر من العصر الإسلامي على تفسير القرآن بالقرآن، بل إننا نلحظ جذور ذلك في أحاديث النبيﷺ، كما نقل عنه من تفسير العديد من الآيات المباركة كما في تفسيره لمعنى الظلم في قوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢]، فقد رُوي انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبيﷺ؛ حيث فهموا من الظلم المعنى العام الشامل لمطلق الذنوب، فبيَّن لهم النبيﷺ أنه الشرك؛ استناداً إلى قوله تعالى في سورة لقمان: ﴿ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٢]، وقد سار أئمة أهل البيتعليهم السلام على هذا المنهج أيضا، كما سيتضح.

إن دراسة الروايات الواردة عن أهل البيتعليهم السلام تبرز بوضوح مدى استعمالهم لهذا المنهج التفسيري، وتؤكد أهميته في عملية التفسير، وهذا ما نحاول أن نسلط عليه الضوء في بحثنا المختصر هذا، حيث نتناول الروايات التفسيرية المروية عن النبيﷺ وأهل بيته الطاهرينعليهم السلام التي تضمنت تفسير القرآن بالقرآن، وفق دراسة استقرائية في المجامع الحديثية والتفاسير الروائية.

ونشير إلى أن محور بحثنا هو الروايات المنقولة عن أهل البيتعليهم السلام في الكتب الروائية والتفسيرية، وعليه نرى أننا في غنى عن البحث السندي في تلك الروايات؛ إذ ليس الهدف هو إثبات نسبة التفسير إلى أهل البيتعليهم السلام، بل الوقوف على استعمال هذا المنهج التفسيري في الروايات التفسيرية المتداولة في الكتب المعتبرة.

(٢) لاحظ: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٤، ص٥٠٦، و: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج٨، ص٥٣.

٢. مفهوم منهج تفسير القرآن بالقرآن:

أيّاً كان التعريف للتفسير في اللغة والاصطلاح، فانه يشمل كل محاولة لاستيضاح معاني الآيات القرآنية، فكل محاولة تؤدي إلى الكشف عن معاني القرآن الكريم تعد (في الاصطلاح) تفسيراً، بما في ذلك المحاولات الخاطئة، والمذمومة كالتفسير بالرأي، وغير ذلك.

وبهذا فان (تفسير القرآن بالقرآن) يصدق على كل محاولة تفسيرية تستعين بالقرآن الكريم، سواء كانت لتوضيح المعاني التصورية للمفردات القرآنية أو لبيان المداليل التصديقية للجمل والآيات، ولا فرق في ذلك بين كون المعنى المراد تفسيره مما تدل عليه الآية بالدلالة اللفظيّة، المطابقية منها أوالتضمنيّة أوالإلتزاميّة، أوبالإشارة، بل حتى لو لم يكن مؤدى تفسير القرآن بالقرآن بياناً لمعنى الآية، بل لما يتعلق بالآية ويساعد في تفسيرها، كبيان مكيّة السورة أو مدنيتها، أو سبب نزول الآية، أو جوّ نزولها.

ومن هنا فإن تفسير القرآن بالقرآن لا يتوقف على وجود الترابط اللفظي بين الآيات، بل يشمل كل نحو من الارتباط بين أجزاء القرآن الكريم، فقد يكون هذا الارتباط في بعض منها واضحاً وجليّاً، وفي بعض آخر دقيقاً وخفياً لا يكتشفه إلاالأوحدي ممن تأمل في القرآن الكريم، وخاض غماره[٣].

٣. بيان أهل البيت عليهم السلام لمنهج تفسير القرآن بالقرآن:

عُرّف المنهج لغة بأنه: الطريق الواضح[٤]، وقد قيل في تعريفه الاصطلاحي الكثير[٥]، ولكن يبدو أن التعريف الأفضل له هو: الطريقة التي يتخذها الباحث وينظم بها خطواته من خلال ما يحمله من عقائد وأفكار للوصول إلى المعلومة.

وإذا كانت المنهجية تعني الطريقة

(٣) لاحظ: جوادي آملي، نفسه، ص١١٠. وقد ذكر عشرة صور لتفسير القرآن بالقرآن. لاحظ: نفسه، ص١١١ـ ١٢٧.

(٤) لاحظ: ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٣٨٣.

(٥) لاحظ: بابائي، علي اكبر، مكاتب تفسيري، ص١٦، و: الفضلي، عبد الهادي، أصول البحث العلمي، ص٥١.

التي يتخذها الإنسان للوصول إلى المعلومة، فهو يدل على أن من يستخدم المنهج قد سبق علمه جهلٌ، وهو في صدد رفع ذلك الجهل، فيستخدم المنهج لتحصيل المعرفة أو(التعلّم)، والمنهج بهذا المعنى لا تصح إضافته إلى أهل البيت عليهم السلام، بان يقال: إنطريقهم لتحصيل العلم كان هو (تفسير القرآن بالقرآن) أو (بالروايات) أو غير ذلك، لا لقصور في هذا المنهج، بل لاختلاف العلم الذي يتسم به أهل البيت عليهم السلام وطريق اكتسابه عن غيرهم، فقد قد دلّ الكثير من الأدلة على امتيازهم(سلام الله عليهم) بنوعية العلم الذي يتحلون به، وأنه من العلم اللدنّي الذي لا يتوقف على المقدمات المتعارفة لاكتساب العلوم، كما هو مفاد العديد من الروايات، كما يروى عن الإمام الصادق عليه السلام بسند معتبر انه قال: ((قَدْ وَلَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَأَنَا أَعْلَمُ كِتَابَ اللَّهِ، وَفِيهِ بَدْءُ الْخَلْقِ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَفِيهِ خَبَرُ السَّمَاءِ وَخَبَرُ الْأَرْضِ، وَخَبَرُ الْجَنَّةِ وَخَبَرُ النَّارِ، وَخَبَرُ مَا كَانَ وَخَبَرُ مَا هُوَ كَائِنٌ، أَعْلَمُ ذَلِكَ كَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى كَفِّي إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ))[٦]. وقد أفرد الشيخ الصفّار في بصائر الدرجات باباً أورد فيه الروايات الدالة على ذلك، سمّاه: ((باب أن الأئمة عليهم السلام أُعطوا تفسير القرآن والتأويل))[٧].

وبناءا على ذلك فلا يتصور أن استعمال أهل البيت عليهم السلام لهذا المنهج في التفسير لغرض الاستنباط وتوصلهم إلى المعاني الصحيحة للآيات، فان ذلك حاصل لهم بعلم الله الذي أفاضه عليهم .

وبذلك يكون استعمالهم عليهم السلام لمنهج تفسير القرآن بالقرآن هادفا لأحد أمرين:

الأول: تقوية الموقف والاستشهاد به، سواء أكان للاحتجاج على الخصوم، او للتأييد فقط، فيكون استدلال الإمام عليه السلام على المعنى الذي يذكره للآيات وفق منهج يُقرّ به الطرف المقابل ويعتبره

(٦) الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام، ج١، ص١٩٧.
(٧) لاحظ: نفسه، ص١٩٤ -١٩٧.

صحيحاً ومُنتجاً.

ومثال ذلك: ما روي من استدلال الإمام الجواد عليه السلام على قطع يد السارق، فقد حدد الإمام عليه السلام إن القطع يكون للأصابع فقط، وقال أن الدليل على ذلك: ((قول رسول الله صلى الله عليه وآله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه، واليدين، والركبتين، والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾يعني هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[سورة الجن: ١٨]))[٨].

فقد استدل الإمام عليه السلام بالآية في مقام محاججة الخصوم، وان كان استخلاص هذا المعنى من الآية المباركة لا يتسنى لكل احد، بل قد يكون من خواصهم عليهم أفضل الصلاة والسلام، ويمكن أن نلحظ استدلالهم عليهم السلام بالقرآن الكريم في مناظراتهم مع الخصوم في روايات عدة[٩].

الثاني: تعليم المنهج التفسيري الصحيح، وليس بالضرورة أن يكون بيان المنهج من خلال البيان التفصيلي، إذ لم يردنا عنهم ما يبين بشكل تفصيلي أسس التفسير ومنهجه وقواعده[١٠]، بل يمكن أن يستفاد ذلك ويقتنص من رواياتهم التفسيرية، ومن خلال الخطوات التي اتبعوها في بيانهم لمعاني القرآن الكريم.

كما في تفسير الإمام الصادق عليه السلام للكتاب المكنون فيما يرويه القمي في تفسيره بسنده عن عبد الرحمن القصير، قال: ((... فَهُوَ الْكِتَابُ الْمَكْنُونُ الَّذِي مِنْهُ النُّسَخُ كُلُّهَا، أَوَ لَسْتُمْ عَرَباً؟. فَكَيْفَ لَا تَعْرِفُونَ مَعْنَى الْكَلَامِ، وَأَحَدُكُمْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: انْسَخْ ذَلِكَ الْكِتَابَ؟ أَوَ لَيْسَ إِنَّمَا يُنْسَخُ مِنْ كِتَابٍ أُخِذَ مِنَ الْأَصْلِ؟ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[سورة الجاثية: ٢٩]))[١١].

فقد استعان الإمام عليه السلام في بيان معنى (النسخ) في الآية بالمعنى اللغوي

(٨) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج١، ص٣٢٠.
(٩) لاحظ مثلا: الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، ٤٥١.
(١٠) لاحظ: بابائي، علي اكبر، مكاتب تفسيري، ج١، ص١٠٢.
(١١) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ج٢، ص٣٧٩.

للمفردة، بل نبه المخاطب إلى هذا المعنى بطريقة تشجع على الرجوع إلى اللغة في فهم القرآن الكريم، ما يدل بوضوح على أن ذلك احد طرق تفسير القرآن، فيمكن أن يقال إن الروايات المشابهة لهذه الحالة تبيّن لنا طريقة تفسير القرآن الكريم.

وقد يشكل في المقام: كيف يمكن تشخيص كونهم عليهم السلام بصدد تعليم المنهج، فقد يكون ذلك للاحتجاج على الخصوم أو لتأييد آرائهم فقط، دون أن يكونوا عليهم السلام بصدد بيان المنهج التفسيري وتعليمه.

ويمكن أن يكون منشأ هذا الإشكال أحد أمرين:

الأول: الاعتقاد بما ذهب إليه الإخباريون من أن تفسير القرآن مقصور على الأئمة عليهم السلام، ولا يمكن لغيرهم أن يفهم من ظواهر القرآن شيئاً، إلا بعد تفسيرهم لها، وقد استدلوا على ذلك بأدلة مذكورة في محلها، فتكون تلك الأدلة بمثابة القرينة المُعيِّنة لحمل الروايات المبينة لمنهجهم في التفسير على غير التعليم، فيكون منحصرا في الاحتجاج على الخصوم أو الاستشهاد.

الثاني: ويمكن أن يطرح هذا الإشكال ممن لا يمنع من إمكان تعليمهم عليهم السلام للمنهج، إلا انه يرى أن الروايات المذكورة في هذا المجال لا تكفي لتشخيص كونهم في مقام (التعليم)، وبعد أن نفينا في ما سبق كونهم في مقام (التعلّم)، ينحصر الهدف في (الاحتجاج).

أما الجواب عن الوجه الأول للإشكال، فهو واضح، من خلال ما أجيب به عن الإشكال المعروف للإخباريين، كالآيات القرآنية الحاثّة على التدبّر في القرآن، وكونه (نوراً)، و (بياناً) و (مُبيناً)، والروايات المُلجئة إلى القرآن عند اشتداد الفتن، وروايات العرض على الكتاب وغيرها، مما يدل على إمكان فهم ظواهر القرآن وحجية تلك الظواهر، كما فصّل في محله[١٢].

وأما الوجه الثاني للإشكال، فيمكن أن يُجاب عنه بعدة أجوبة:

الوجه الأول: إن تعليم القرآن الكريم احد الوظائف التي ذكرها القرآن

(١٢) لاحظ: الخوئي، البيان، ص٢٦١ -٢٧٢.

الكريم للنبيﷺ في العديد من الآيات المباركة، كقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[سورة آل عمران: ١٦٤]. وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[سورة الجمعة: ٢].

ومن المعلوم أن التعليم تارة يكون بالبيان المباشر، بان يقوم النبيﷺ بتفسير الآيات، وبيان مرادها، وأخرى يكون ببيان منهج تفسير الآيات المباركة، بما يتسنى لمن تتوفر لديه الشروط اللازمة في عملية التفسير الإطلاع على ما لم يختص بأهل البيتعليهم السلام من العلوم والمعارف القرآنية، ولا دليل في الآية على اختصاص التعليم بالنحو الأول، بعد إبطال ما ذهب إليهالإخباريون، فيمكن القول: إنإبداء الطريق للوصول إلى تفسير الآيات من خلال بيان المنهج واحدة من وظائف النبيﷺ. ولا تنحصر هذه الوظيفة بالنبيﷺ، بل تسرى على كل الأئمةعليهم السلام بعده، وفق ما هو ثابت في العقيدة الإمامية.

وقد تجلّى ذلك في الكثير من الروايات الواردة عن المعصومينعليهم السلام التي يمكن أن يقتنص منها الكثير من أصول التفسير وقواعده[١٣]. فعليه إذا ما رأينا في موضع من المواضع أن أهل البيتعليهم السلام اثبتوا معناً من المعاني لبعض الآيات وفق منهج معين، فلنا أن نفهم أنهم في مقام تعليم ذلك المنهج، فهو من صلب وظائفهم التي حددها القرآن الكريم.

بل يمكن أن يُدّعى: أن الأصل فيما يذكره الأئمةعليهم السلام في بياناتهم التفسيرية أن يكون للتعليم بكلا شقّيه؛ المباشر وغير المباشر، إلاإذا دلّ دليل على غير ذلك كالتقية أو الاحتجاج.

الوجه الثاني: ولو تنزلنا عما سبق،

(١٣) تعرّض لذلك العديد من الباحثين. لاحظ-مثلاً: نصيري، علي، رابطه متقابل كتاب وسنت، ص٣٥١ -٥٧٣. وبابائي، علي اكبر، مكاتب تفسيري، ج١، ص١٠٢-١٣٣.

فإنّ العديد من المناهج المطروحة للبحث كمنهج تفسير (القران بالقران، والقرآن) بـ(الروايات)، و(العقل) و(اللغة العربية)، مما يدل عليه العقل قبل الروايات، إذ أن هذه المناهج في إطارها العام مناهج عقلائية يسلكها العقلاء في الاستنتاج والاستنباط، فلا نحتاج في إمضائها سوى إثبات عدم الردع الشرعي عنها، وهو لم يثبت بعد إبطال قول الإخباريين.

٤. تطبيقات المنهج في روايات أهل البيت عليهم السلام:

نلحظ في الروايات التفسيرية عن أهل البيت عليهم السلام تنوعا في استعمال منهج تفسير القرآن بالقرآن، فتارة يستعملونه في توضيح وتفسير الآيات المباركة، وأخرى في بيان المراد الجدي منها، وتارة في بيان المعاني الباطنة للآيات، واستعراض كل تلك الروايات ودراستها تتطلب تفصيلا لا يفي به المقام، إلاأننا نتعرض إلى بعض النماذج من الروايات الواردة في هذا الصدد.

ونذّكر -مجدداً -بأننا تجاوزنا البحث السندي حول الروايات؛ كون البحث مُنصبّاً حول الروايات المروية عن أهل البيت عليهم السلام، دون نسبة مضمون تلك الروايات إليهم عليهم السلام، إلاأننا حاولنا قدر الإمكان الاستناد إلى أهم الكتب الروائية المعتبرة.

ويمكن تصنيف الروايات الواردة في تفسير القران بالقران ضمن العناوين التالية:

٤/ ١. بيان معاني المفردات:

قد تكون بعض الألفاظ خفيّة أو غير واضحة، فترد الرواية في توضيح تلك المفردة وبيان معناها بالاعتماد على استعمالها في موضع آخر من القرآن أو ورود عبارة أخرى تحمل نفس المعنى، فيساهم ذلك في كشف معنى المفردة وتوضيحه، كما نلحظ ذلك في تفسير الإمام الرضا عليه السلام للختم على القلوب بـ(الطبع) عليها، فقد روي عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: ((وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وجَلَ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾[سورة البقرة: ٧]، قَالَ: الْخَتْمُ هُوَ الطَّبْعُ عَلَى قُلُوبِ الْكُفَّارِ

عُقُوبَةً عَلَى كُفْرِهِمْ، كَمَا قَالَ عَزَّ وجَلَ: ﴿ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[سورة النساء: ١٥٥]))[١٤].

ونلحظ أن الإمام عليه السلام فسّر (الختم) بلفظ آخر يحمل نفس معناه اللغوي[١٥] قد ورد في آية أخرى.

ومن هذا القبيل تفسير الإمام الحسين عليه السلام لمعنى (الصَّمَد)، حيث قال في جواب رسالة أهل البصرة: ((وإن الله سبحانه فسّر الصمد، فقال: ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[سورة الإخلاص: ١ -٢]، ثم فسّره، فقال: ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾[سورة الإخلاص: ٣-٤]))[١٦]. وتفسير الإمام الباقر عليه السلام لليد بالقوّة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾[سورة ص: ٧٥]، حيث قال عليه السلام: ((اليد في كلام العرب القوة والنعمة، قال الله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِ ﴾[سورة ص: ١٧]، وقال: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ ﴾[سورة الذاريات: ٤٧]، أي: بقوة، وقال: ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ ﴾[سورة المجادلة: ٢٢] أي قوّاهم...))[١٧].

ومنه أيضا تفسير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمعنى كلمة (الله)[١٨]، و لـ(الأمر)، و(أولي الأمر)[١٩]، وتفسير الإمام الصادق عليه السلام: لـ(يوم الدين)[٢٠]، ومعنى (الأمة)[٢١]، و(الإحسان)[٢٢]، و(الأجل المسمى)[٢٣]، و(الفيء)[٢٤]،

(١٤) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام؛ ج١؛ ص١٢٣.
(١٥) لاحظ: ابن منظور، محمد بن المكرم، لسان العرب، ج١٢، ص١٦٢. والمصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٣، ص٢٠.
(١٦) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، ص٩١.
(١٧) الصدوق، نفسه، ص١٥٣.
(١٨) لاحظ: الصدوق، نفسه، ص٢٣١.
(١٩) لاحظ: الطبرسي، احمد بن علي، الإحتجاج على أهل اللجاج، ج١، ص٢٥٢.
(٢٠) لاحظ: القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ج١، ص٢٨.
(٢١) لاحظ: العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، ج١، ص٣٨٠.
(٢٢) لاحظ: نفسه، ص٣٦٣.
(٢٣) لاحظ: نفسه، ج٢، ص٢٧.
(٢٤) لاحظ: نفسه، ج٣، ص٥٠٣.

و(الحيّ)[٢٥] في قوله تعالى: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾[سورة الروم: ١٩].

٤/ ٢. شرح الآيات وبسط معانيها:

نلحظ في بعض الروايات التفسيرية أن المفسر المعصومعليه السلام يجمع بين بعض الآيات ليخرج بمعنى جديد من مجموع الآيتين، فيتكامل المعنى، وتتضح الصورة، كما روي عن النبيعليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴾[سورة إبراهيم: ١٦]، حيث قالصلى الله عليه وآله: ((يقرّب إليه فيكرهه، فإذا أدنى منه شوى وجهه، ووقع فروة رأسه، فإذا شرب قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره، يقول الله عز وجل: ﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴾[سورة محمد: ١٥]))[٢٦].

ونرى في هذه الرواية أن النبيصلى الله عليه وآله قد خرج بمعنى جديد لا تدل عليه الآية الأولى لوحدها، إذأنها تخبر عن سقي أهل النار ماءاً صديدا، والصديد هو: الدم والقيح الذي يسيل من الجسد[٢٧] أو جلود أهل النار[٢٨]، وقد تكفلت الآية الأخرى بيانه.

كما يمكن أن نلحظ هذا التوسع في شرح الآية في تفسير الإمام عليعليه السلام لمدة الحمل من خلال الجمع بين قوله تعالى: ﴿ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا ﴾[سورة الأحقاف: ١٥]، وقوله: ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ ﴾[سورة لقمان: ١٤]. حيث شرح الإمامعليه السلام الآية الأولى بالثانية، وعيّن مدة الحمل التي لم تذكر في الآية من خلال إنقاص مدة الرضاعة المحددة في الآية الثانية من الثلاثين شهراً[٢٩].

ولا يخفى أن هاتين الروايتين -إضافة إلى دلالتهما على تفسير القرآن بالقرآن- فإنهما تحملان تفسيراً موضوعياً،

(٢٥) لاحظ: العروسي الحويزي، نفسه، ج١، ص٧٦٤.

(٢٦) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، ج٦، ٤٧٤.

(٢٧) لاحظ: ابن منظور، نفسه، ج٣، ص٢٤٦. و: الطبرسي، نفسه. و: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص٣٦.

(٢٨) لاحظ: الزمخشري، محمود، الكشاف عن حقائق التنزيل، ج٢، ص٥٤٦.

(٢٩) لاحظ: ابن قدامة، عبد الله، المغني، ج٩، ص١١٥. و: المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٠، ص٦٩٨.

موضوعه (شراب أهل النار) و(مدة الحمل).

وقد يكون ظاهر الآية دالاً على معنى، ولكن الإمام عليه السلام يحمله على معنى آخر بقرينة آية أخرى، كما نلحظ ذلك في رواية زرارة ومحمد بن مسلم، حيث قالا: ((قُلْنَا لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ كَيْفَ هِيَ، وَكَمْ هِيَ؟. فَقَالَ عليه السلام: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُول: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[سورة النساء: ١٠١]، فَصَارَ التَّقْصِيرُ فِي السَّفَرِ وَاجِباً كَوُجُوبِ التَّمَامِ فِي الْحَضَرِ. قَالَا: قُلْنَا: إِنَّمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: افْعَلُوا، فَكَيْفَ أَوْجَبَ ذَلِكَ كَمَا أَوْجَبَ التَّمَامَ فِي الْحَضَرِ؟ فَقَالَ عليه السلام: أَوَ لَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ: ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[سورة البقرة: ١٥٨]، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الطَّوَافَ بِهِمَا وَاجِبٌ مَفْرُوضٌ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ، وَصَنَعَهُ نَبِيُّهُ عليه السلام، وَكَذَلِكَ التَّقْصِيرُ فِي السَّفَرِ شَيْءٌ صَنَعَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله، وَذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِي كِتَابِهِ))[٣٠].

فقد فسر الإمام عليه السلام آية القصر في السفر، بأنها بصدد بيان مجرد جواز التقصير، أما الوجوب فيستفاد من سنة النبي صلى الله عليه وآله، كما هو الحال في آية الطواف بين الصفا والمروة، وهو بخلاف ما يتبادر في أول وهلة، وهو استفادة الإباحة بالمعنى الأخص المقابلة للوجوب.

كما نلحظ التوسع في بيان معنى الآيات واستفادة معانٍ جديدة من مجموعها في بيان الإمام الباقر عليه السلام لقوله تعالى حكاية عن نوح: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[سورة الصافات: ٧٧]، حيث يمكن أن يثار حول هذه الآية عدة أسئلة، منها: ما معنى البقاء في هذه الآية؟. وهل أن الباقين في الأرض بعد الطوفان هم ذرية نوح فقط؟. وهنا يجيب الإمام عليه السلام عن ذلك ببيان أن مراد الآية أن ((الحق والنبوة والكتاب والإيمان في عقبه، وليس كل من في الأرض

(٣٠) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٤٣٤.

من بنى آدم من ولد نوح، قال الله في كتابه: ﴿ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾[سورة هود: ٤٠]، وقال أيضاً: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ﴾[سورة الإسراء: ٣]))[٣١].

فقد بيّن عليه السلام معنى البقاء، كما بيّن استنادا إلى الآيتين أن ليس كل الباقين هم من ذرية نوح[٣٢].

وقد تبيّن الآية بتحديد المخاطب بها، كما لو ورد الخطاب موجها إلى فئةٍ ما، دون تعيين تلك الفئة، فيرد تحديده من قبل أهل البيت عليهم السلام بالاستعانة بآياتأخر، كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾[سورة البقرة: ١٤٣]، حيث روي عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: ((فان ظننت أن الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين، أفترى أن من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة، وتقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟!. كلا لم يعنِ الله مثل هذا من خلقه، يعنى الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾[سورة آل عمران: ١١٠]، وهم الأمة الوسطى، وهم خير امة أخرجت للناس))[٣٣].

فقد استعان الإمام عليه السلام بأية أخرى في بيان أن المخاطب في الآية الأولى ليس جميع الموحدين، بل فئة خاصة منهم، ويظهر من الرواية أنها في مقام حصر الخطاب بفئة معينة وكونه خاصا بهم، لا يشمل غيرهم، فلا يكون من باب تخصيص العام، بل من باب رفع الإجمال عن العنوان المجمل.

ومن باب رفع الإجمال عن العنوان أيضا ما روي عن محمد بن أبي عمير في سوأله الإمام الكاظم عليه السلام عن شمول الشفاعة لأهل الكبائر، قال فيه: ((يا ابن رسول الله كيف يكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى يقول: ﴿وَلَا

(٣١) القمي، نفسه، ج٢، ص٢٢٣.
(٣٢) لاحظ نموذجاً آخراً لذلك في: العروسي الحويزي، نفسه، ج٣، ص٢١٩.
(٣٣) العياشي، نفسه، ج١، ص٦٣.

يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾[سورة الأنبياء: ٢٨]، ومن يرتكب الكبيرة لا يكون مرتضى؟. فقال عليه السلام: يا أبا محمد ما من مؤمن يرتكب ذنبا إلاساءه ذلك وندم عليه، وقال النبي صلى الله عليه وآله: كفى بالندم توبة، وقال عليه السلام: من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن، ولم تجب له الشفاعة، وكان ظالماً والله تعالى ذكره يقول: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[سورة غافر: ١٨]...))[٣٤].

ونلحظ أن الإمام عليه السلام رفع إجمال العنوان الوارد في الآية الأولى: (من ارتضى)، بعدم كونه من الظالمين.

وتوجد العديد من النماذج التي بيّن فيها أهل البيت عليهم السلام معاني الآيات بالاستعانة بالقران الكريم، اعرضنا عن إيرادها خشية الإطالة[٣٥].

٤/ ٣. بيان المصداق للآية:

تدل بعض الآيات على معانٍ عامة يمكن أن تنطبق على عدة مصاديق، وفي هذه الحالة يكون تشخيص بعض المصاديق وبيانها كشفاً وتوضيحاً لهذا الآية، ولا يعني ذلك حصر معنى الآية بتلك المصاديق، بل يمكن أن يبقى معناها على عمومه، إلا في بعض الآيات التي تدل على حصر المصداق[٣٦].

ويمكن أن نعدّ من هذا الباب ما ورد في بيان (المغضوب عليهم) و(الضالين)، كما يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: ((أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ طَرِيقَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ، وَهُمُ: النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ، وَأَنْ يَسْتَعِيذُوا [بِهِ] مِنْ طَرِيقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَهُمُ الْيَهُودُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾[سورة المائدة: ٦٠]، وَأَنْ يَسْتَعِيذُوا بِهِ مِنْ طَرِيقِ الضَّالِّينَ،

(٣٤) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، ص٤٠٨.

(٣٥) لاحظ: نفسه، ج١، ص١٣٥، و٤٨٢، و ص٤٠٣، و: ج٢، ص٥٣، و١٣٦، و: ج٣، ص٣٣٧.

(٣٦) كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾.

وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[سورة المائدة: ٧٧]، وَهُمُ النَّصَارَى. ثُمَّ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: كُلُّ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ فَهُوَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، وَضَالٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ))[٣٧].

والرواية صريحة بعدم حصر العنوان بما ذكره من مصاديق، بل هي تحمل تفسيراً لمعنى (المغضوب عليهم) و(الضالين) إضافة إلى بيان مصاديقهما.

ومن هذا القبيل ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في كبائر الذنوب، في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ [سورة النجم: ٣٢]، حيث ذكر الإمام عليه السلام استنادا إلى الآيات القرآنية مصاديق (كبائر الإثم)، من الشرك، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس المحترمة، وقذف المحصنات و...[٣٨].

وما روي عن الإمام الكاظم عليه السلام، في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[سورة الأعراف: ٣٣]، حيث بين أن احد مصاديق الإثم هو الخمر والميسر، استنادا إلى قوله عز وجل: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[سورة البقرة: ٢١٩][٣٩].

ومن بيان المصداق ما ذكره الإمام الحسن عليه السلام من تفسير قوله تعالى: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾[سورة البروج: ٣]، حيث فسّر الشاهد بالنبي صلى الله عليه وآله، والمشهود يوم القيامة[٤٠]، استنادا إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[سورة الاحزاب: ٤٥]،

(٣٧) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، ص٥٠.

(٣٨) لاحظ: الكليني، الكافي، ج٢، ص٢٨٥، باب الكبائر، حديث: ٢٤.

(٣٩) لاحظ: الكليني، نفسه، ج١، ص٤٠٦، باب تحريم الخمر من الكتاب، الحديث: ١.

(٤٠) لاحظ: الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج١، ص٥٤٣.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾[سورة هود: ١٠٣]. فقد بين الإمام(عليه السلام) باعتماده على آية أخرى مصداق الشاهد والمشهود، سواء فهمنا منها حصر المصداق أو لم نفهم ذلك.

وقد ورد بيان المصداق بالاعتماد على الآيات القرآنية في مواضع أُخر[٤١].

٤/ ٤. تعيين القراءة الصحيحة:

ذكرت بعض الروايات ترجيح بعض القراءات على بعض استنادا إلى القران الكريم نفسه، كما رواه القمّي في تفسيره مرسلاً عن الإمام الصادق(عليه السلام): ((قرأ رجل على أمير المؤمنين(عليه السلام): ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾[سورة يوسف: ٤٩]، قال: ويحك، أي شيء يعصرون؟. أيعصرون الخمر؟. قال الرجل: يا أمير المؤمنين، كيف أقرؤها؟. قال: إنما نزلت «عام فيه يغاث الناس وفيه يُعْصَرُون»، أي يُمْطَرُون بعد سنين المجاعة، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا﴾[سورة النبأ: ١٤])).

ولم تذكر هذه القراءة ضمن القراءات الأربعة عشر، بل أن ما ذكر فيها إما القراءة للمخاطب (تَعصِرُون)، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف، أو للغائب {يَعْصِرُونَ}، وهي قراءة غيرهم[٤٢]. وبناءا على عدم حصر القراءات بعدد معيّن وعدم تواترها تكون هذه القراءة المروية عن أمير المؤمنين(عليه السلام) من أحد وجوهها لو تمت النسبة، ولكنها مرسلة.

٤/ ٥. بيان المراد الجدي للآيات:

يتضح المراد الجدي لكل كلام بعد مراجعة كافة القرائن المتصلة والمنفصلة والتي من شأنها أن تقيّد أو تخصّص أو تنسخ أو توسّع مدلول ذلك الكلام، ونلحظ في روايات تفسير القرآن بالقرآن تطبيقاً لذلك، وبطرق مختلفة يمكن بيانها بما يلي:

(٤١) لاحظ: القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ج١، ص٣٢. و: الحويزي، نور الثقلين، ج١، ٣١، و٧٦٥.

(٤٢) لاحظ: ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، ج٢، ص٢٩٥. و: الدمياطي، احمد بن محمد، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ص٣٣٢.

٤/ ٥/ ١. تخصيص العام:

نلحظ في روايات تفسير القرآن بالقرآن تخصيصاً لبعض العمومات القرآنية بآيات أخر، كما في تخصيص قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٧١-٧٢]، حيث تدل على أن جميع المخاطبين بهذه الآية سوف يردون النار، بما في ذلك المؤمنين، وقد ورد في رواية عن أهل البيت عليهم السلام تخصيصها بآية أخرى، حيث روى القمي في تفسيره: ((أنها منسوخة بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[سورة الأنبياء: ١٠١]))[٤٣]. فقد أخرجت هذه الآية المباركة قسماً من الناس عن مدلول الآية الأولى، فيكون ذلك تخصيصاً، وان عُبّر عنه بالنسخ؛ إذ النسخ الاصطلاحي لا ينطبق عليه[٤٤]، كما أن النسخ قد يطلق في الروايات ويراد منه التخصيص[٤٥].

ومن موارد التخصيص تخصيص الظلم في بعض الآيات بالشرك، فقد رُوي انه لما نزل قوله تعالى﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾[سورة الأنعام: ٨٢]، ((شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾))[٤٦].

فقد ورد (الظلم) في الآية الأولى نكرة في سياق النفي، فيكون عاما وشاملا لكل أنواع الظلم بما فيها ظلم النفس، إلا أن النبي صلى الله عليه وآله خصصه بخصوص الشرك بمعونة الآية الثانية.

٤/ ٥/ ٢. تقييد الإطلاق:

نلحظ ذلك في بيان الإمام الصادق عليه السلام لسّر عدم استجابة الدعاء، فقد روي أن رجلاً قال له: ((جعلت

(٤٣) لاحظ: القمي، نفسه، ج٢، ص٥٢.

(٤٤) عُرّف النسخ بأنه: ((رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه)). الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص٢٧٦.

(٤٥) لاحظ: النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ج٢٨، ص٢٦٣.

(٤٦) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج٨، ص٥٣.

فداك إن الله يقول: ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[سورة غافر: ٦٠]، وإنّا ندعو فلا يستجاب لنا؟. قال عليه السلام: لأنكم لا تفون بعهده، وان الله يقول: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾، والله لو وفيتم لله لوفى الله لكم))[٤٧].

فقد أضاف الإمام عليه السلام قيدا للآية الأولى، ووضّح أنها ليست خاصة بكل الداعين، بل تختّص بمن يفي بعهد الله تبارك وتعالى، كما تدل الآية الثانية على أن وفاء الله عزّ اسمه بعهوده لعباده (ومنها عهده باستجابة الدعاء) مشروط بوفائهم بعهودهم تجاهه سبحانه من الإيمان والطاعة، فيكون مؤدى هذه الرواية تقييد الآية الأولى وعدم إطلاقها أفراداً وأحوالاً.

ومن هذا القبيل ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في تقييد حرمة الجلوس في مجالس الإثم، بعدم النسيان، فقد روي انه عليه السلام قال في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ﴾[سورة النساء: ١٤٠]: ((ثم استثنى عزّ وجل موضع النسيان، فقال: ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[سورة الأنعام: ٦٨]))[٤٨].

وكذلك الحال في تقييد قبول الاستغفار بالتوبة والعمل الصالح، فيما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: ((رحم الله عبدا لم يرض من نفسه أن يكون إبليس نظيراً له في دينه، وفي كتاب الله نجاة من الردى، وبصيرة من العمى، ودليل إلى الهدى وشفا لما في الصدور فيما أمركم الله به من الاستغفار مع التوبة، قال الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[سورة آل عمران: ١٣٥]، وقال: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ

(٤٧) القمي، نفسه، ج١، ص٤٦.

(٤٨) لاحظ: العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج١، ص٢٨٢. والكليني، نفسه، ج٢، ص٣٥، باب أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها، حديث: ١.

يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[سورة النساء: ١١٠]. فهذا ما أمر الله به من الاستغفار واشترط معه بالتوبة والإقلاع عما حرّم الله، فانه يقول: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[سورة فاطر: ١٠]، فهذه الآية تدل على أن الاستغفار لا يرفعه إلى الله إلا العمل الصالح والتوبة))[٤٩].

٤/ ٥/ ٣. بيان النسخ في الآيات:

عُرّف النسخ بأنه: ((رفع أمرٍ ثابتٍ في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه))[٥٠]. ولمعرفة الناسخ والمنسوخ دور كبير في تحديد المراد الجدي من الآيات المباركة؛ إذالإطلاع عليه يعرف المفسر بعدم إرادة المعنى المنسوخ بصورة مطلقة ودائمة، بل هو مختص بزمن من الأزمان، وكون ما تثبته الآية الناسخة هو المؤدى النهائي للحكم على الموضوع، وبذلك يكون النسخ كاشفاً -أيضاً -عن تسلسل الآيات والترتب الزمني بين الناسخ والمنسوخ، فإذا ما ثبت نسخ آية من الآيات -بالنسخ المصطلح -يثبت تأخر الآية الناسخة نزولاً.

وتحتوي روايات تفسير القرآن بالقرآن على عدة نماذج بيّن فيها أئمة أهل البيت عليهم السلام الآيات الناسخة والمنسوخة، من ذلك ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[سورة المائدة: ٥]، حيث قال: ((قال نسختها: ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾[سورة الممتحنة: ١٠]))[٥١].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ ﴾[سورة النساء: ٧٧]، فقد روي أنها منسوخة بقوله عز وجل: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾[سورة البقرة: ١٩٠]. وقوله: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾[سورة الأحزاب: ٤٨]، منسوخة بقوله:

(٤٩) العياشي، نفسه، ج١، ص١٩٨.
(٥٠) الخوئي، ابو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص٢٧٦.
(٥١) العياشي، نفسه، ج١، ص٢٩٦. والكليني، نفسه، ج٥، ص٣٥٨، باب نكاح الذمية، حديث: ٨.

﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾[سورة البقرة: ١٩١][٥٢]..

٤/ ٦. التفسير الباطني للآيات:

تحتوي الآيات القرآنية على معان باطنية مقصودة بالموازاة مع المعاني الظاهرية، ومن منطلق الإعجاز القرآني فلا يوجد بين المعاني الباطنية أي نحو من التنافي والتناقض والاختلاف، بحسب ما تدل عليه الآيات النافية للباطل والاختلاف في القران الكريم، فكما تكون المعاني الظاهرة متناسقة ومنسجمة، كذلك الحال في المعاني الباطنة، وكما يمكن أن يُستعان بالآيات على تفسير بعضها، كذلك يمكن أن يستعان بها في تأويل المعاني الباطنية لها، ولكن لمن له صلاحية التأويل حصرا[٥٣].

ومن هذا المنطلق نلمس في روايات تفسير القران بالقران الواردة عن عِدْل القران الكريم استعانةً واضحةً ببعض الآيات لبيان المعاني الباطنة لآيات أخر، كما نلحظ ذلك في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٩٥]، حيث روي عن الإمام عليه السلام الصادق: ((الحب المؤمن، وذلك قوله: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾[سورة طه: ٣٩]، والنوى: الكافر الذي نأى عن الحق فلم يقبله))[٥٤].

وبما أن الظاهر من معنى (الحَبّ) هو: ((ما يقال في الحنطة والشعير ونحوهما من المطعومات))[٥٥]، والنوى معروف، وهو نواة التمر وأمثاله[٥٦]، فيمكن أن نعتبر ما بينه الإمام عليه السلام من المعاني الباطنة للآية المباركة، وان كان في بعض الروايات ما يبين كيفية الفَلْق (وهو الشق)، بين طينة المؤمن

(٥٢) لاحظ: العروسي الحويزي، نفسه، ج١، ص١٧٨.

(٥٣) لاحظ: جوادي آملي، نفسه، ج١، ص١٢٨.

(٥٤) العياشي، نفسه، ج١، ص٣٧٠.

(٥٥) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ص٢١٤.

(٥٦) لاحظ: الفراهيدي، الخليل بن احمد، كتاب العين، ج٨، ص٣٩٤.

والكافر[٥٧]، إلاأنالأقرب هو كون الآية في مقام بيان المعنى الباطن.

كما نلحظ في هذه الآية أن الإمام عليه السلام فسر المعنى الباطن، وهو (الحبّ) في الآية الأولى، بالاستعانة بالمعنى الظاهر للآية الثانية، وهو (المحبّة).

ومن موارد بيان المعاني الباطنية ما ورد في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[سورة البقرة: ١٧].

حيث روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال ـ في كلام طويل: ((فَكَانَ مَثَلُكُمْ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾، يَقُولُ: أَضَاءَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ، فَضَرَبَ اللهُ مَثَلَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله الشَّمْسَ، وَمَثَلَ الْوَصِيِّ الْقَمَرَ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾[سورة يونس: ٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾[سورة يس: ٣٧]...))[٥٨].

ونلحظ في هذه الرواية بيان المعنى الباطن بمعنى باطن لآية أخرى.

٤/ ٧. بيان تسلسل نزول الآيات:

لحظنا في الروايات التفسيرية بيان التسلسل التاريخي لنزول بعض السور بالاعتماد على آياتها، كما في ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام انه قال -في حديث طويل: ((وسورة النور أنزلت بعد سورة النساء، وتصديق ذلك أن الله عز وجل انزل عليه في سورة النساء: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾[سورة النساء: ١٥]، والسبيل الذي قال الله عز وجل: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ

(٥٧) لاحظ: الكليني، نفسه، ج٢، ص٥، باب طينة المؤمن والكافر، حديث٧.

(٥٨) الكليني، نفسه، ج٨، ص٣٨٠.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[سورة النور: ١ -٢]))[٥٩].

٤/ ٨. حلّ التعارض بين الآيات:

قد يقع التعارض بين مدلولي بعض الخطابات الصادرة من متكلم واحد، أو ما يكون بحكم المتكلم الواحد، سواء كان بين المدلولين المطابقين أو التضمنيين أو الإلتزاميين، أو بين احد هذه الأصناف مع الصنف الآخر، ويختلف التعارض بشكل عام بين كونه مستقرا، أو غير مستقر، ويعني الأول أن التعارض لا يمكن حلّه بالأساليب العرفية التي يعتمد عليها العقلاء في محاوراتهم من تقييد أو تخصيص أو ورود أو حكومة، أو غير ذلك، فيستقر التعارض ولا يمكن رفعه، وهذا النوع من التعارض منفي عن القرآن بشكل قطعي؛ لكونه ابرز وجوه الباطل والاختلاف المنفيين عن القرآن الكريم.

أما القسم الآخر، وهو التعارض غير المستقر الذي يبدو في أولالأمر، وينحل وفق وسائل الجمع العرفي المتقدمة، فيمكنأن يقع في القرآن الكريم، كونه لا يشكل نقصا ولا اختلافاً، فهو مما يتقبله العرف، ويتماشى مع طبيعة الكلام والظروف المختلفة التي يصدر فيها.

ومن هنا فان عملية التخصيص والتقييد أو الحكومة والورود والنسخ وغيرها يصاحبها دائما نوع من التعارض البدوي الغير مستقر، فيمكن أن نعد ما ذكرناه من نماذج تحت عنوان (بيان المراد الجدي للآيات) نماذج لرفع التعارض أيضاً، إلاأناأفردنا هذا العنوان لذكر بعض الروايات التي يكون التعارض فيها أوضح وأقوى من غيره، بحيث يُطرح من قبل البعض إشكالا على انسجام الآيات وتناسقها.

ويمكن أن نذكر من هذا القبيل ما روي من جواب أمير المؤمنين عليه السلام لبعض الزنادقة الذي ادعى وجود التناقض في القرآن الكريم في نسبة التوفي إلى الله تارة وإلى الملائكة ثانية وإلى ملك الموت ثالثة، فقال عليه السلام في جوابه: ((فأما قول الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾

(٥٩) الكليني، الكافي، ج٢، ص٣٢.

[سورة الزمر: ٤٢]، وقوله: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾[سورة السجدة: ١١]، و﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[سورة الأنعام: ٦١]، و﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾[سورة النحل: ٣٢]، و﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[سورة النساء: ٩٧]، فهو تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يتولى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، لأنهم بأمره يعملون، فاصطفى جل ذكره من الملائكة رسلاً وسفرة بينه وبين خلقه، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[سورة الحج: ٧٥]، فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النقمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة، يصدرون عن أمره، وفعلهم وفعله وكل ما يأتونه منسوب إليه وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت، وفعل ملك الموت فعل الله؛ لأنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء، ويعطى ويمنع، ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وان فعل أمنائه فعله كما قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[سورة الإنسان: ٣٠]))[٦٠].

فقد أجاب الإمام عليه السلام عن التعارض المزعوم بين هذه الآيات بالاعتماد على قرينة أو بيان آخر في آيات أُخر صحح نسبة التوفي إلى ملك الموت والملائكة[٦١].

أهم مصادر البحث:

١. ابن الجَزَري، شمس الدين، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، بدون تاريخ.

٢. الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، نشر بني هاشمي، تبريز -إيران، ١٤٢٣هـ ق، ط١.

٣. بابائي، علي اكبر، مكاتب تفسيري، پژوهشگاه حوزه ودانشگاه، طهران

(٦٠) الطبرسي، احمد بن علي، الاحتجاج، ج١، ص٢٤٧.

(٦١) وقد روي مضمون هذه الرواية في بيان للإمام الصادق عليه السلام. لاحظ: الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج١، ص١٣٦.

إيران، ١٣٨٩هـ ش، ط٢.
٤. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨١م، بدون عنوان.
٥. التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، مدرسة الإمام المهدي، قم -إيران، ١٤٠٩هـ ق، ط١.
٦. جوادي آملي، عبد الله، تسنيم، نشر اسراء، قم -إيران، ١٣٧٨هـ ش، ط١.
٧. الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القران، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم -إيران، بدون تاريخ، بدون عنوان.
٨. الدمياطي، احمد بن محمد، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٠١م، بدون عنوان.
٩. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القران، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م، ط١.
١٠. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت -لبنان، ١٩٨٠م، ط٥.
١١. الزمخشري، محمود، الكشاف عن غوامض حقائق التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت -لبنان، ١٤٠٧هـ ق، ط٣.
١٢. الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، جماعة المدرسين، قم -إيران، ١٣٩٨هـ ق، ط١.
١٣. الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، نشر جهان، طهران، ايران، ١٤٢٠هـ ق، ط١.
١٤. الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم -إيران، بدون تاريخ، ط٢.
١٥. الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليه وآله، مكتبة اية الله المرعشي، قم -إيران، ١٤٠٤هـ ق، ط٢.
١٦. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القران، جامعة المدرسين، قم-إيران، ١٤١٧هـ، ط٥.

١٧. الطبرسي، احمد بن علي، الاحتجاج على أهل اللجاج، نشر مرتضى، مشهد -إيران، ١٤٠٣هـ ق، ط١.
١٨. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القران، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٩٩٥م، ط١.
١٩. العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، انتشارات إسماعيليان، قم -إيران، ١٤١٥هـ ق، ط١.
٢٠. العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، تحقيق: محلاتي، هاشم، جابخانه علميه، طهران -إيران، ١٣٨٠هـ ش، ط٤.
٢١. القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تحقيق: الموسوي الجزائري، سيد طيب، دار الكتاب، قم - إيران، ١٤٠٤هـ ق، ط٤.
٢٢. المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القران الكريم، مركز الكتاب للترجمة والنشر، طهران -إيران، ١٤٠٢هـ ق، ط١.
٢٣. النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، دار الكتب الإسلامية، طهران -إيران، ١٣٦٧هـ ش، ط٣.